حاجتنا إلى إعلام إسلامي فاعل

بقلم / مسعود فلوسى

الحديث عن إعلام إسلامي ، أضحى اليوم حديثا عن فريضة غائبة لم تجد من يقوم بها ولا من يؤديها و يسقط فرضيتها الكفائية عن سائر المسلمين ، فيما عدا بعض المحاولات النادرة القاصرة التي لم تستطع أن تقف أمام موجات التيارات الاعلامية العالمية العاتية ولوللحظة واحدة ... ذلك أن الاعلام اليوم أصبح يؤدي دورالريادة و القيادة في الحياة الثقافية و الاجتماعية لجميع الناس ـ دون استثناء ـ و أصبح يساهم بفعالية بالغة في التدخل في بلورة خصائصهم النفسية و تشكيل قناعاتهم العقيدية ، و إعادة بنائها وفق مايخطط له صاحب الخطاب الإعلامي الأقوى ، و العرض الأكثر تأثيرا .

لقد استطاع الإعلام ـ اليوم ـ أن يفتك التأثير من كل الوسائل التي كان لها دورها الفعال في حياة الأمم والشعوب و الدول ، فلم يعد الآباء قادرين على التحكم في تربية ابنائهم ، ولم يعد يمكنهم أن يساهموا في توجيههم و تشكيل قناعاتهم و سلوكاتهم في الحياة ، كما استطاع أن يَفْتَكَّ قوة التأثير من تلك الأسلحة الفتاكة التي كانت تدمر شعوبا بأكملها ، فهو ـ اليوم ـ يستطيع بفعل الحروب النفسية و الدعائية التي يقوم بها أن يسقط عروشا و حكومات و أن يحطم أمما و شعوبا بأسرها دون الحاجة إلى استخدام المدافع أو القنابل أو الطائرات .

اعلام بديل أو الكارثة

إذا تأكد لدينا هذا الذي قدمناه عن دور الاعلام و مكانته ، عرفنا أن هذا العنوان الذي صدرنا به هذه الفقرة ليس مقصودا منه الاستفزازفي شئ و لا الإثارة أو التشويق بالمرة ، فهو نضج الحقيقة الواقعية السائدة ، بل أنه لا يستطيع أن يدعي أن بإمكانه وصف الحقيقة كما هي ، فهي أضخم من أن يصفها عنوان أو يحيط بها مقال مهما طال . إن واقع المؤسسات الاعلامية في بلادنا ليدل دلالة قاطعة على مدى ماأحدثه التعفن الفكري و الثقافي في نفوس القائمين عليها ، حتى أصبحوا معاول هدم وإفساد للمجتمع و أخلاق أبنائه ، ولم يعد خافيا مايحمله هؤلاء من حقد على عقيدة الأمة و تراثها الزاخر ، فهم خدم للاستدمار و التغريب ، ولا يتوانون أبدا عن التمكين لأهدافه و القيام بها بدلا عنه و كفايته في تخريب حياة المسلمين و تدمير أخلاقهم و القضاء على بقايا الحياء و الحشمة في نفوس أبنائهم ، وليس هناك مايمكن أن يقوم دليلا صادقا على صحة مانقول كواقعنا الاعلامي نفسه ، فالتلفزيون ـ الذي هو الوسيلة الاعلامية الأقوى فتكا و الأكثر تأثيرا ـ لايكاد يعرض في برامجه مما يتصل بثقافة الأمة وعقيدتها و رسالتها إلا النزر اليسيرالنادر ، و الباقي كله عبارة عن برامج غربية أو عربية متغربة ، تؤدي دورها المطلوب بكل عناية و اجتهاد و اقتدار ، و قد ساهمت ـ و الواقع خير دليل على مانقول ـ في إفساد شباب الأمة و توجيههم نحو الاهتمام بالبرامج الفارغة ، حيث لم يعد أكثرهم يتحدث عن شيء غير (بلاد ميوزيك) و مايماثلها من البرامج الساقطة التي لاهم لها إلا أن تتحدى إرادة الامة و تفرض عليها مالاتريد رؤيته من حصص و برامج ، وأذكرأني حين كنت في المرحلتين المتوسطة و الثانوية ، كانت من الفتيات اللائى كن يدرسن معي من يحفظن الكثير من حياة الفنانين المصريين و الغربيين و أعمالهم الفنية وعناوين أفلامهم و مسرحياتهم و مغامراتهم ، في حين كن لايعرفن عن أبطال الأمة و رجالها الأفذاذ شيئا يذكر .

ثم إذا توجهنا إلى واقع الجرائد و الصحف اليومية منها و الأسبوعية ، وحاولنا تقصي أمرها ، فإننا نجد أن أغلب الجرائد الذائعة و الأكثر قراءة . هي الجرائد المكتوبة بالفرنسية ، أما العربية فهي تعاني من كساد خانق ، ربما أدى ببعضها إلى التوقف عن الصدور ـ نتيجة الخسارة ـ بعد حين .

أما عن نوادي الفيديو و أشرطة الكاسيت ، فحدث عنها ولاحرج ، فهي قد أصبحت أوكار التسويق مايسمونه بالثقافة الجنسية و إشاعتها بين الشباب ، ولم يعد بالامكان التغاضي عن ذلك في شيء . و حسبنا لكي نعرف مدى ماأحدثه الاعلام في حياتنا من تأثير ، أن كثيرا من الناس قد أصبحوا و كأنهم ليسوا هم أولئك الذين كنا نعرفهم من قبل ، فقد تغيرت سلوكاتهم و طرق معاملاتهم ، بل سقطت البقية الباقية من الحياء و الاحترام المتبادل من معاملاتهم ، و أصبح الابن لايتورع من ارتكاب مايخل بالحياء في حضرة والديه ، معتقدا أن ذلك دليل التقدم و الانفتاح ، والتحرر من أسر

العادات و التقاليد و قيودها البالية في زعمه ، كما انتشرت مظاهر (الحيوانية) المتجلية في تربية الكلاب و اصطحابها في كل مكان ، حتى أصبحت أفضل و أعز من البشر عند كثير من أصحابها ، ولاعجب ، فذلك بعض مظاهرتأثير وسائل الاعلام وفعلها الخبيث في حياة الناس .

لقد كان مفروضا في وسائل الاعلام أن تمارس دورها التربوي المطلوب في الحياة ، فتشكل توجهات الناس و قناعاتهم فيما يخدم الأمة و يعود عليها وعلى أبنائها بالخير و السداد ، ولكن الذي حصل كان غير ذلك مما أدى إلى إفراز ماسبق أن أشرنا إليه من آفات . و الواقع أنه ليس كل هذا وحده مما يميز واقعنا الاعلامي ، بل إن أولئك الذين سبق أن أشرنا إلى مايقومون به من دور لصالح الاستدمار ، مصرون على استهلاك كل مايأتيهم من الغرب و فرضه على الأمة فرضا ، مصرون على سيطرتهم على مراكز المعلومات و الإعلام من تحضير النأس و تشكيل ذهنياتهم على أوضاع تُهيّئهم لقبول كل ما يُبثُّ إليهم من معلومات دون البحث في مدى صدقها أو كذبها ، بل دون أن يتركوا لهم الفرصة في قبولها أو ردها ، ولفحصها و اختبارها ، إضافة إلى ماساهموا به في طمس الطاقات الاعلامية المبدعة ذات المبادئ السامية و الحيلولة بينها و بين إفادة الناس و توجيههم لما فيه الخير و الصلاح .

بعد كل هذا ، هل يبقى من أمل نعلقه على هذه المؤسسات في أن تتحول في يوم من الأيام إلى مراكز للإفادة و حسن التوجيه ؟!!... الحقيقة : أن كل الملابسات و الملاحظات تدل على أن ذلك مجرد وهم كاذب و أمل خادع فقط ، و إلا فإن هذه المراكز لا ولن تكون مراكز للإفادة مادام فيها أمثال هؤلاء ، و مادامت متصلة بمراكز القرار والتوجيه . وكل هذا الذي سبق و أن قدمناه ، يبرز ولاشك حاجتنا إلى إعلام بديل يعيد بناء ماقد سبق لسابقه أن هدمه و خربه . و إلا فإننا ننذر بكارثة مروعة لاتبقي ولاتذر في عقيدة الأمة و أخلاق شبابها ومسيرتها في التاريخ .

الاعلام الاسلامي ضرورة

و الاعلام الذي ندعوإليه ، هو ـ بلا ريب ـ ذلك الاعلام الذي يتخذ من عقيدة الامة و ثوابتها الراسخة منطلقا أساسيا في إعداد البرامج و بث الأخبار و توجيه الحصص و الأنشطة الاعلامية المختلفة وجهة تخدم الامة و تعرفها بدينها ورجالها وترسخ فيها التحرر من التبعية و إباء الخنوع و الذلة و الضيم . فلقد أصبحت الحاجة اليوم إلى الاعلام الاسلامي أكثر من ملحة ، وأصبحت فعاليته أكثر من ضرورة ، حيث أن الزور قد كثر ، والصدق قد قل ، وأعداء الاسلام قد نشطوا في حملاتهم قصد تشويهه و مطاردة دعاته وملاحقتهم بالاشاعات و الأكاذيب حتى تستأصل حبهم من قلوب الناس و تشوه صورهم في نفوسهم فيسهل على أعداء الاسلام بعد ذلك استئصالهم و القضاء عليهم ، ومن أجل ذلك لابد للدعوة الاسلامية أن تجهز لنفسها قنوات إعلامية تستطيع من خلالها أن ترد على حملات التشويه و الافتراء عليها ، وأن تساهم في بث مبادئها و عقيدتها في حياة الناس و معاملاتهم. وحتى لايلتبس الامر على بعض الناس ، فإننا نسارع إلى توضيح مانعنيه بالاعلام الاسلامي ، فلسنا نقصد ـ هنا ـ مايُعرف اليوم بالاعلام الديني ، و الذي يتمثل في خطب المساجد و الصفحات الدينية في الجرائد و الكتب و المطبوعات و البرامج الدينية والاذاعية و التلفزيونية و المسلسلات و الأفلام الروائية الدينية ، فهذه الامور كلها جزء بسيط عما يقوم به الاعلام الاسلامي من أعمال ، و هي لاتمثل الوجه الحقيقي له في الواقع ، لأن أغلبها يؤدي في

كثير من الأحيان إلى نتائج عكسية ، إذ كيف يتسنى لمشاهد أن يتتبع برنامجا دينيا في التلفزيون إذا كانت مقدمته امرأة متبرجة أو رجل تبدو عليه مظاهر التغريب و سمات الانحلال ، ولكن مع ذلك لايمكن إهمال كل هذه الوسائل ، فكثير منها يكون نافعا و مفيدا و مؤديا لبعض مايُطلب أداؤه من دور إعلامي إسلامي .

إنما الذي نقصده من مصطلح (الاعلام الاسلامي) هو ذلك الاعلام الذي تسري فيه الروح الاسلامية كمبدأ و كمنهاج ، تصوغ توجهاته و تحرك وسائله و أدواته ، و لايهم بعد ذلك نوع العمل الاعلامي ، مقروءا كان أو مسموعا أو مرئيا.

الطريق إلى الاعلام الاسلامي

هذا ، و إن الوصول إلى الاعلام الاسلامي بالمعنى الذي أوضحناه ، لابد له من عمل دؤوب وجهد جاد متواصل في ميادين عديدة ، فصلها الدكتور عبد القادر طاش في بحثه (إضاءات حول الاعلام الاسلامي) المنشور ضمن كتاب الامة رقم (28) و الذي يحمل عنوان : (مقالات في الدعوة والاعلام الاسلامي) نلخصها فيمايلي :

1. ميدان الإعداد و التأهيل البشري : و ذلك بإعداد الكفايات البشرية المتخصصة في الاعلام ، وتأهيلها فكريا و خلقيا و عمليا ومهنيا . وذلك ليس بالامر السهل القليل التكاليف ، بل هو عمل كبير يتطلب جهودا عظيمة و طاقات ضخمة . ولابد لإعداد الإعلامي المسلم و تأهيله من أن يتكامل المنهج العلمي و العملي في الجوانب التالية :

أ ـ الإعداد الأصولي و الفكري : بتعريفه بالأصول العقدية و الفكرية و التشريعية للإسلام من خلال مجموعة مختارة من المقررات الشرعية والفكرية في القرآن الكريم و التوحيد و التفسير والحديث و الفقه و الثقافة الاسلامية .

ب ـ الاعداد اللغوي و التذوقي : بتدريبه بعض المقررات في اللغة نحوا و صرفا و فقها ، وأن يسعى إلى التمكن من فنون القول و البيان و التعبير والأسلوب و التذوق الأدبي .

جـ ـ الاعداد التخصصي و المهني : الذي لابد أن يتكامل فيه الجانب النظري و الجانب العملي التطبيقي ، ولابد من اكتساب الطالب للمهارات العلمية والمهنية المطلوبة منه في واقع الممارسة الميدانية .

د ـ الاعداد الثقافي العام : وهذا يتطلب الإلمام بالواقع الذي يعيش فيه ، من حيث قضاياه ومشكلاته و أحداثه و تياراته ، كما يتطلب الالمام ببعض المعارف و العلوم المعينة له على فهم هذا الواقع و تحليله ، وهي علوم وثيقة الصلة بالاعلام ، كعلم النفس و الاجتماع ، والعلوم السياسية و الاقتصادية واللغة الاجنبية .

2 ـ ميدان التأصيل و التنظير العلمي : و ذلك بإنشاء المعاهد و مراكز البحوث الاعلامية و دعمها حتى تؤدي ماهو داخل في اهتماماتها بالاعلام الاسلامي ، واستقطاب الباحثين و الدارسين الذين يتميزون بالاخلاص و الوعي الاسلامي و الخلفية الشرعية و الاستيعاب العلمي للتخصص الاعلامي ، إلى جانب تمتعهم بالمنهجية في التفكير ، والتمكن من أساليب البحث العلمي ووسائله .

ولابد أن نسير الجهود وفق خطة مدروسة ، معتمدة على أسلوب العمل الجماعي ، ومدعمة بإمكانات مادية و بشرية ملائمة .

3. ميدان الاصلاح الواقعي : بالاسهام الإيجابي في إصلاح أوضاع المؤسسات الاعلامية القائمة وترشيد مسارها الاعلامي ، بالنصح أو الدعم أو الممشاركة العملية ، ويبدأ ذلك بمحاولة إيجاد قنوات تواصل و تعاون بين المهتمين بشؤون الدعوة والاعلام الاسلامي من جهة ، وبين العاملين في المجال

الاعلامي من جهة أخرى ، من أجل تضييق الفجوة بينهم .

4. ميدان الانتاج العلمي المتميز : و لابد لذلك من المبادرة إلى إنشاء مؤسسات و شركات إسلامية للإنتاج و التوريع الاعلامي في مختلف المجالات من طباعة ، وصحافة ونشر ، وتلفزيون ، وفيديو ، وتسجيلات صوتية ، وشرائح مصورة ، و أفلام سينمائية ، وغيرها . وإنشاء مثل هذه المؤسسات يتطلب طاقات بشرية عديدة ، ويتطلب تكاليف مادية و مالية باهضة ، ولكن الاستثمار في هذا النوع من الانتاج سيحقق مكاسب مادية و معنوية لانظير لها .

ورغم أن صياغة الاعلام ـ نظريا وتطبيقيا ـ ليست مشروعا سهل التنفيذ ، إلا أنه لاينبغي أن يصيبنا اليأس أو الاحباط بسبب ضخامة التكاليف المعنوية و المادية ، بل ينبغي أن يكون ذلك دافعا قويا لنا لنروي الأمل المتفتح في قلوبنا وواقعنا بماء الاخلاص ، و العزيمة الصادقة ، والتخطيط المدروس ، والعمل الجاد ، والسعي الدؤوب المتواصل حتى يُثمر الامل ويتحقق الحلم .

[انتهى التلخيص] .

مطلوب من الاعلام الاسلامي ـ إذن ـ أن يتحرك و يفعل فعله في الواقع ، وأن يُسارع إلى القيام بدوره في إعادة صياغة الشخصية المسلمة من جديد ، ويكون ذلك حافزا لها على العودة بالأمة إلى دورها الرسالي و مكانتها الحضارية .

■